منيرة المهدية

50 عاماً على رحيلها

سلطانة الطرب

(1885 - 1965)

سلسلة ملاحق مجلة

الكواكب

أغسطس 1932

1

إعداد

مركز الهلال للتراث الصحفى

Al-Hilal Journalistic Heritage Center

أجمل مطربات القرن العشرين وأتعسهن حظا

مركز الهلال للتراث الصحفى
Al-Hilal journalistic Heritage Center

أحد قطاعات مؤسسة دار الهلال

رئيس مجلس الإدارة
غالى محمد

مدير المركز
عادل سعد

كبير الأمناء
عادل عبد الصمد

المستشار الفنى
محمد أبوطالب



في 16 مارس 1965 كتب محرر الكواكب :

« منيرة المهدية أسلمت الروح صباح الخميس الماضي، وبذلك انطوت صفحة دفعت الحياة إلى دنيا الغناء والأوبريت ما يزيد على ربع قرن، وقد عاشت سنواتها الأخيرة بعيدا عن الأضواء بحكم السن والمرض ولكنها في صمتها كانت تشير إلى مراحل زاهية مرت بها الأغنية العربية وإلى كفاح فردي قامت به في سبيل المسرح الغنائي.

بدأت منيرة المهدية حياتها الفنية تغني على التخت، وتصدح بصوت فيه تغريد البلبل، وصدح الكروان، حتى أنها استطاعت أن تجلس على عرش الطرب في السنوات الأخيرة من حياة سلامة حجازي، وظلت سلطانة الطرب بلا منازع لعشرات السنوات، حتى ظهرت فلاحة من السنبلاوين، لها موهبة عبقرية، واهتز عرش الطرب لينحاز نحو الغناء الفردي، بعد أن كان المسرح الغنائي، ورموزه تدفع الناس إلى التجاوب معه، تعبيرا عن روح الكفاح ضد الإنجليز بعد ثورة 1919 .

منذ سنواتها الأولى اتجهت منيرة المهدية إلى المسرح الغنائي، وقدمت أوبريتات، حتى أنها قدمت آخر تمثيلية للشيخ سيد درويش، وكان قد مات قبل أن يتمها، وأكملها محمد عبد الوهاب الذي لعب أمامها دور أنطونيو، وظلت تكافح حتى الثلاثينيات، ولكنها وجدت أن الجديد أقوى، وأن أيام مجدها قد ولت.

اعتزلت، وحجت إلى بيت الله، وعاشت بين صلاتها وذكرياتها، ولكنها كانت تحن إلى الأضواء.. إلى المسرح .. وعادت مرة أخرى في عام 1948 برواياتها القديمة على مسرح كازينو أوبرا.. وكانت هذه التجربة الأخيرة للتأكيد بأنها أدت دورها، وأن على غيرها أن يمسك الخيط ويمشي مع الزمن.

وعادت الحاجة منيرة المهدية إلى صلاتها



وذكرياتها وعزلتها، حتى لفظت أنفاسها مع مطلع فجر يوم الخميس الماضي.. رحمها الله»

منيرة المهدية عاصرت الموجة التي انبهرت بأمجاد الفراعنة، لإحياء روح وطنية حرص المستعمر على إخمادها، ووقفت على المسرح وأطلقت صيحتها: «إحنا أبونا توت عنخ آمون» وكان الشعب يفاخر بأجداده الفراعنة بعد أن اهتز العالم؛ بمناسبة اكتشاف مقبرة توت عنخ آمون الفرعون الشاب، ولما دعاها أحد كبار الملاك وكان معاديا للزعيم الوطني سعد زغلول وامتلأ السرادق عن آخره للاستمتاع بصوت منيرة المهدية انطلق صوتها:

«زغلول وقلبي مال إليه

أنده له لما احتاج إليه»

والتهبت أكف السامعين لمنيرة وسعد.

ولدت في بيت متواضع بقرية مهدية بمديرية الشرقية ونشأت في مدينة الإسكندرية، مهد سيد درويش وبيرم التونسي فنان الشعب.

ورحلت عن الدنيا في 12 مارس 1965 عن عمر يناهز الثمانين عاما عاشتها بين صعود وهبوط ونجاح وفشل، وبعد أن كانت قد عرفت رئيس النظار (رئيس الوزراء) حسين رشدي باشا، ومصطفى كمال أتاتورك، وملوك الحجاز، والعراق والخديو عباس حلمي الثاني، والشيخ سلامة حجازي، وعزيز عيد، لتنطوي صفحة حياتها كأول ممثلة عربية ومصرية، وإحدى مؤسسات المسرح الغنائي، الذي سعى الكثيرون لهدمه وهدم الست منيرة، للترويج للغناء الفردي.

كانت فنيا بنت سيد درويش، والشيخ سلامة حجازي، وكامل الخلعي، وكانت رحلة الموسيقى المصرية تتخذ -للأسف- اتجاها معاكسا، للغناء الجماعي والأوبريتات الغنائية، التي كافح هؤلاء طويلا من أجل إرساء قواعدها، وكانت وحيدة بعد رحيل كل هؤلاء العمالقة، وكافحت طويلا للدفاع عن المسرح الغنائي ودورها، حتى سطت السنين على جمالها وأنوثتها الجذابة، وأصاب الوهن صوتها العذب وأشفق عليها الجمهور، فرحلت عن العالم في سلام .



منيرة المهدية

سلطانة الطرب

وقع فى غرامها كل الرجال وكانت صديقة الملوك والسلاطين وكمال أتاتورك وفى عوامتها تنعقد اجتماعات مجلس الوزراء. ماتت وحيدة، ولم يمش فى جنازتها سوى أربعة أفراد. تربعت على قمة الغناء العربى ثلاثين عاماً وتجاهلها الناس ثلاثين عاماً وكانت أم كلثوم تحلم بالوصول إلى مرتبتها فى الغناء.

عادل سعد

منيرة فى صباها



كان ثوبها دائما يزدان بالنياشين التى حصلت عليها من الملوك والرؤساء

منيرة المهدية

سلطانة الطرب



جميلة الجميلات

عندما رحلت منيرة المهدية عن الدنيا لم يمش فى جنازتها سوى أربعة أفراد، النهاية المحزنة لسلطانة الطرب التى كان رئيس مجلس الشيوخ يقبل يدها والخديوى عباس حلمى الثانى يقول لها: لو كنت رجلاً لمنحتك لقب باشا وصديقة كمال أتاتورك والملوك والعظماء الذين كانوا يكبسون حقائبها بالذهب، ويحتسون الشمبانيا فى حذائها كانت متوقعة، فقد عاشت الثلاثين عاماً الأخيرة من حياتها تجتر أحزانها بعد أن تجاوزها الزمن وتقدمت فى العمر، ولم يعوضها عن مجدها الضائع حصولها على وسام استحقاق الدولة من الدرجة الأولى، ولا اعتبارها أول ممثلة مسرحية فى تاريخ مصر.

ولدت منيرة المهدية عام 1885 بالزقازيق ووصلت القاهرة وعمرها 17 عاما لتعمل مطربة بحى «وش البركة»، وترقص فى فرقة شفيقة القبطية الشهيرة واستاجرت مقهى «نزهة النفوس» بالأزبكية فى نفس توقيت الاحتلال البريطانى لمصر واندلاع الحرب العالمية الأولى.

تزوجت فى هذه الفترة من الثرى محمود جبر وبعد عدة سنوات أرادت الانفصال عنه، وكان مغرما بجمالها فهددها بالقتل فاختفت لمدة عامين، ثم عادت للظهور بعد أن انهار جبر وأدمن الخمر؛ حزناً على فراقها وعندما اطمأنت على حياتها أعادت فرقتها وتزوجت من بعد جبر ثلاث مرات،

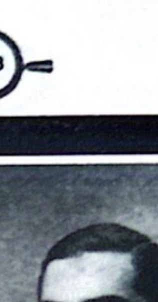
بالزى الإفرنجى فى إحدى مسرحياتها



الخديو عباس حلمى الثانى



كمال اتاتورك كان أحد المعجبين بسلطانة الطرب



منيرة المهدية

سلطانة الطرب

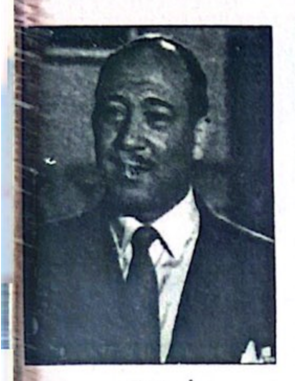


زوجها كمال.. لما مات.. فقدت الرغبة فى الحياة

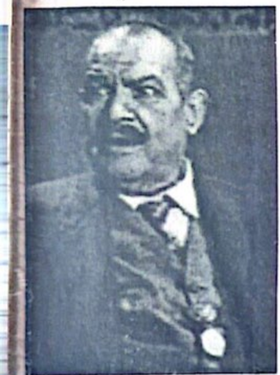




من عوامتها تلقى نظرة على النيل



أحمد علام



عبد الحميد زكى

وكان من عادتها تبخير المسرح كل ليلة من الحسد وتدخل المسرح برجلها اليمنى، فإذا أخطأت تغلق المسرح فى هذه الليلة.

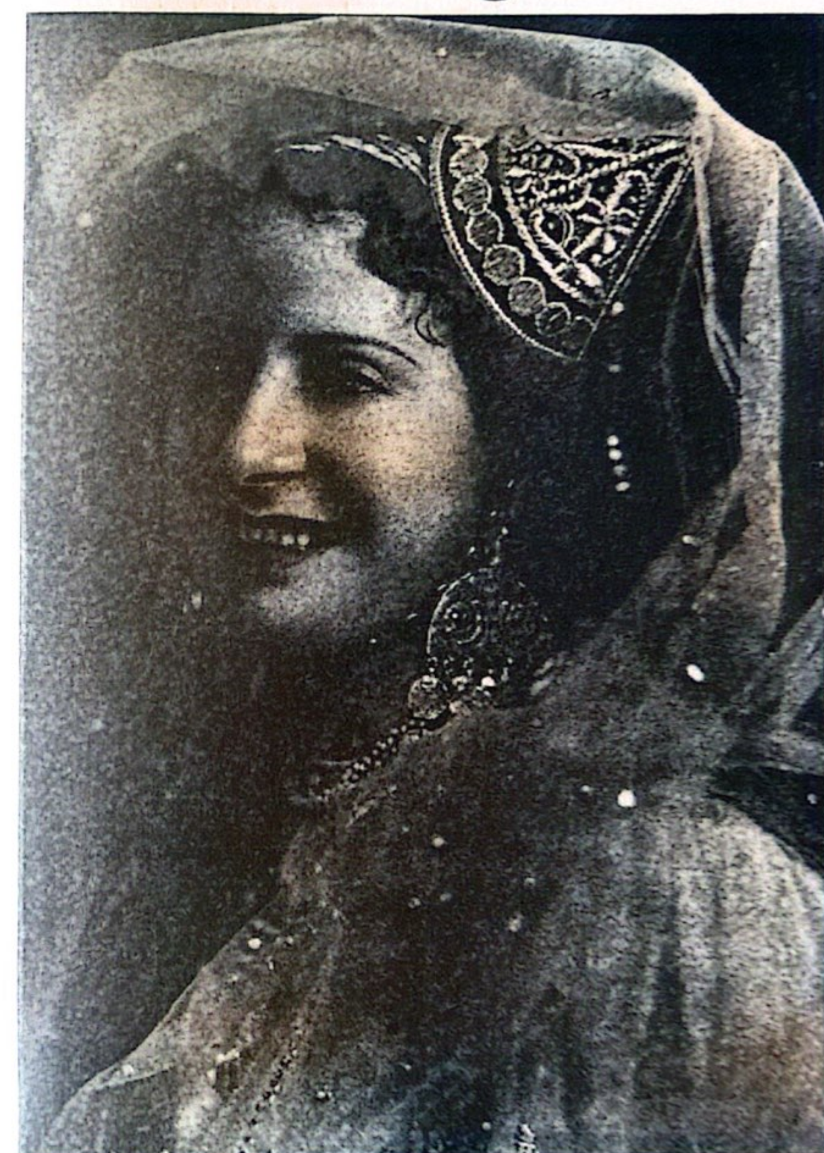
فى عام 1930 حدث كساد رهيب فى المسرح بعد ظهور السينما وانصرف كل الفنانين من المسرح إلى الشاشة وحاولت منيرة أن تخوض تجربة السينما [illegible] فيلم «الغندورة» وقا[illegible] أمام أحمد علا[illegible] لم تنجح فاعتزلت الحياة العامة فى 1935.

فى عام 1945 حاولت منيرة



منيرة المهدية

سلطانة الطرب



بديعة مصابنى

المهدية استئناف نشاطها الفنى فغنت على مسرح كازينو بديعة مصابنى، ولكنها لم تلق النجاح الذى كانت تتوقعه بعد هذا الاحتجاب؛ لأن الجمهور تغير والذوق تغير، وقد حضرت أم كلثوم هذه الحفلة وبكت تأثرا وهى تشهد انصراف الجمهور عن الست منيرة وهى تغنى فوق المسرح، مما اضطرها لإغلاق الستارة قبل تكملة الأغنية الأولى، وكانت هذه آخر حفلات سلطانة الطرب، فاعتكفت بعد ذلك فى عوامتها

صورة نادرة لأم كلثوم فى صباها

منيرة المهدية
سلطانة الطرب

مع زوجها وعندما مات زوجها ماتت كل آمال منيرة وأحلامها.

مولد نجمة

عبر ثلاثين عاما من مطلع القرن العشرين كانت منيرة المهدية سلطانة الطرب بلا منازع، في زمانها كان تجار القطن والطلبة الهاربون من المدارس وأغنياء الحرب يهربون من المسارح المشهورة بالأزبكية ويذهبون إلى مقهى «نزهة النفوس» لسماع الراقصة والمطربة الجديدة التي كان لها وجه جميل وقوام ممشوق وصوت فيه أنوثة ليس لها مثيل.

كانت الفنانة الناشئة تصعد بقوة في نفس الوقت الذي كان فيه المسرح العربي يكاد يحتضر، فرواده يتضاءلون بالتدريج خاصة بعد مرض الشيخ سلامة حجازي رائد المسرح الغنائي، وتوقف جورج أبيض وفرقة جوقة عكاشة.

وعندما جاء صيف 1914 امتلأت شوارع القاهرة بالجنود الإنجليز عقب اندلاع الحرب العالمية الأولى، وأعلنت الأحكام العرفية وأصبحت الصحف والمسرحيات خاضعة لإدارة رقابة المطبوعات، وصدرت الأوامر بعدم إضاءة المسارح والملاهي بعد الساعة







في إحدى مسرحياتها بالملابس البدوية بالتوب «التولي»



في صباها بالفراء الفاخر

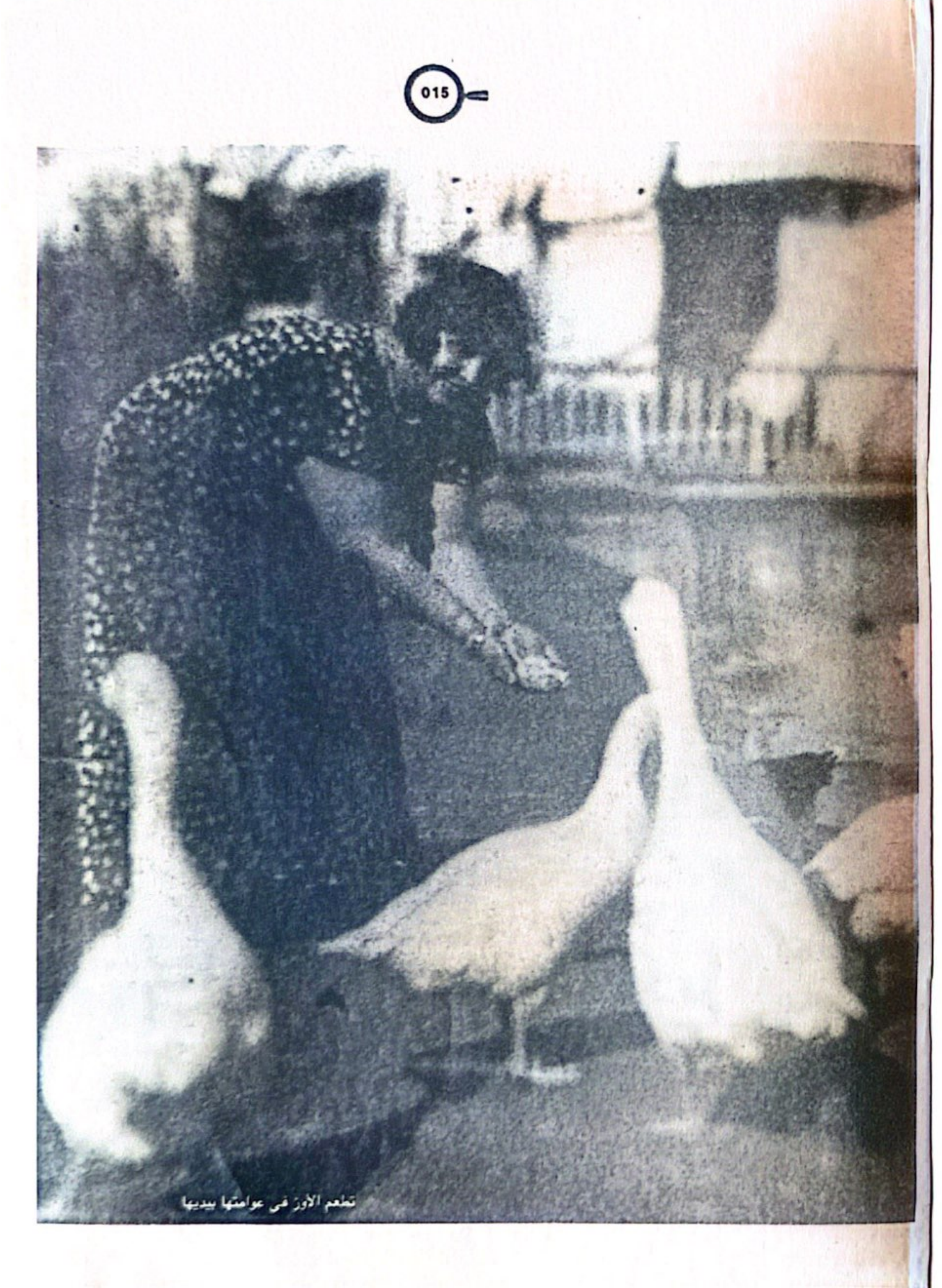
الحادية عشرة ليلا، وهذه القيود وغيرها جعلت الناس يظنون أن مستقبل الفن فى مصر لن يتعدى المقاهى التى تقدم الرقص والطقاطيق لطلاب الحظ فقط.

وفى حى الأزبكية أو الحى الذى يتمثل فيه ليل القاهرة فى هذه الفترة كانت تتناثر مقاهى الطرب والرقص، وكنت فى هذه المقاهى ترى العجب ترى من يغنى المواويل الشعبية من وحى «القعدة» بالارتجال وترى من ترقص بالشمعدان، وهى تقف وتميل وتجلس والشمعدان لا يتحرك من فوق رأسها، وكلما توقفت عن الرقص اندفع تجار القطن ليلصقوا على جبينها ووجهها الجنيهات، وتظل على هذا الحال إلى أن تجمع نقوطها المعلوم فتنسحب وسط التهليل وتترك الساحة لغيرها لتواصل ساعات الحظ.

وسط هذا الجو الهابط من الفن على المقاهى التى أصبحت تتبارى لاجتذاب الناس الذين يتهيبون السهر فى المسارح جرى اكتشاف منيرة المهدية.

فى هذا التوقيت قرر جورج أبيض الانضمام لسلامة حجازى واتخذ من مسرح برنتانيا مقرا للفرقة الجديدة التى أقامت لأول مرة فى تاريخ المسرح حفلات نهارية لاقت نجاحا كبيرا: لأنها استطاعت أن تشد الناس الذين هجروا السهر بالليل بسبب حالة الطوارئ وبدأت جوقة عكاشة تنافس هذه الفرقة بقوة وتقلدها.

وبعد اندلاع الحرب بستة أشهر ظهر فى الأفق الفنى عزيز عيد أكبر مغامر فنى عرفته مصر، ليحاول مرة


تطعم الأوز فى عوامتها بيديها

منيرة المهدية
سلطانة الطرب


الشيخ سلامة حجازى فى نزهة مع أصدقائه

أخرى إقامة مسرح كوميدى قدم فيه روايات أعلن أن دخولها ممنوع على النساء، فقاطعها كل من الرجال والنساء لا لشيء إلا لأنها فى منتهى الإباحية، وعندما وصل صيت منيرة المهدية إلى أذن عزيز عيد، وهو الرجل الذى انحدر به الحال نتيجة الفن ذات يوم إلى درجة أنه كان يلف على المقاهى، وهو يحمل صندوقا صغيرا يمسح به أحذية عشاق فنه! يقرر عزيز عيد استغلال اسم منيرة فى مغامرة فنية تثير اهتمامات الناس

يستيقظ الناس ذات صباح لتقع أعينهم على حملة ضخمة على مقهى الشانزليزية فى الفجالة تعلن عن ظهور أول ممثلة مصرية فى تاريخ المسرح على مسرح عزيز عيد، ويتابع الناس هذه المحاولة باهتمام شديد - برغم أنه لم يعلن عن اسم الممثلة - لأنهم لم يتعودوا ظهور أى ممثلة مصرية فوق خشبة المسرح، فقد كان هذا ممنوعا ويقوم بأدوار النساء بعض الرجال المتخصصين فى هذه الأدوار أو بعض الأجنبيات.

لهذا ما أن ظهرت إعلانات عزيز عيد فى عام 1915 التى أعلن فيها عن اسم منيرة المهدية قبل ليلة الافتتاح بيوم واحد، حتى قابل بعض المتزمتين هذه المحاولة بالاستنكار، واعتبروا أن الاهتمام بظهور المرأة على المسرح تحريض على الفسق والفساد، ولكن سرعان ما ذاب هذا الاستنكار فى ليلة الافتتاح، فقد تدفق الجمهور على المسرح بصورة ليس لها مثيل، وكادوا يحطمون الصالة عندما مر الفصل الأول من المسرحية دون أن تظهر الممثلة المصرية، وأنقذ الموقف ظهور عزيز عيد على المسرح وهو يمسك بيده فتاة ترتدى زى الرجال ذات قوام ممشوق طويل فارع، ووجه صبوح، وجبين وضاء، وشعر كستنائى، وعيون زرقاء، وصوت عذب جميل.

وغنت منيرة المهدية فى هذه الليلة أغنية الشيخ سلامة حجازى «إن كنت فى الجيش» ولاقت نجاحا كبيرا.

وظل عزيز عيد يدربها على الإلقاء والتمثيل، حتى استطاعت فى أيام قليلة أن تخطف جمهورا غفيرا من عشاق فن الشيخ سلامة حجازى، ولأن الحظ كان يهرب دائما من عزيز عيد فى الوقت المناسب، فسرعان ما اختلفت معه منيرة المهدية وانفصلت عن فرقته، وكونت لنفسها فرقة خاصة عام 1917 وظلت تقدم روايات الشيخ سلامة حجازى لمدة عامين، واشتد إقبال الناس عليها إلى درجة أن جورج أبيض عندما فوجيء فى إحدى الليالى بمسرحه وليس فيه سوى جمهور يعد على الأصابع بكى أمام ممثلى فرقته وهو يقول

الست منيرة فى دور كليوباترا فى مواجهة أنطونيو

منيرة المهدية
سلطانة الطرب


كامل افندى الخلعى

«معلهش .. الدراما مالهاش حظ مع جمهور الست منيرة
«وكانت أنجح رواياتها عندئذ رواية كارمن التى كانت تقوم ببطولتها أمام الدونجوان عبد العزيز خليل، وفى تلك المسرحية استطاع كامل الخلعى أن يقتبس موسيقى بيزيه ويمنحها نكهة شرقية فجاءت ألحانه ذات مستوى رفيع من الناحية الغنائية.

مسرح منيرة

وكان مسرح الست منيرة له بلاط يرتاده رجال السياسة وكبار الموظفين والقضاة وأثرياء القوم، وقد بلغ إعجاب حسين رشدى باشا ناظر النظار بها إلى درجة أنه كان يعقد مجلس النظار فى عوامتها النيلية وليس هذه بغريب، فقد كان حكام مصر فى تلك الفترة قد القوا بتبعية المسئولية عن البلاد إلى أسيادهم الإنجليز، وبالتالى لم تكن تحت أيديهم أى قرارات مهمة.

فى ثورة 1919 قدمت منيرة مسرحية كلام فى سرك «التى كانت قصتها تدور حول رجل أجنبى يمتلك مصنع تطريز تعمل فيه 20 بنتاً يستغلهن أبشع استغلال، وفى نهاية الرواية تطالب منيرة البنات بالسير ورائها للتخلص من هذا الأجنبى بإقامة مصنع عربى للتطريز وتقيم المصريات - فعلا - هذا المصنع لتنتهى الرواية بصاحب المصنع الأجنبى، وهو يتسول بالماندولين

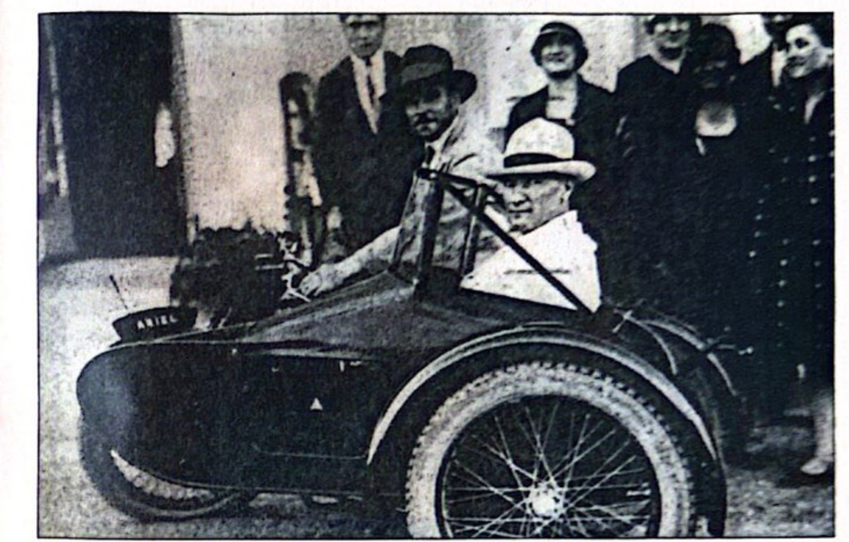
وهذه الرواية رآها طلعت حرب رائد الاقتصاد المصرى، فشد على يد منيرة وقال لها إنه بعد مشاهدة الرواية اقتنع بضرورة تنفيذ فكرة، طالما راودته وهى فكرة إنشاء بنك عربى ومصنع عربى.

كما قدمت منيرة رواية «كلها يومين» الوطنية أى كلها يومين ويخرج الإنجليز ويرمز يونس القاضى مؤلف الرواية إلى السلطان عبد الحميد بشخصية رجل تركى فى حالة وصايته على منيرة المهدية التى ترمز لمصر، وفى هذه الرواية تروى الأخت لأخيها كيف أن الإنجليز استعانوا بهذا الرجل التركى وسلبوا أموالها فيثور الأخ ويصمم على قتل من تسبب فى هذه الكارثة.

عاشت منيرة حياتها بالطول والعرض، وظلت تتربع على عرش الغناء لسنوات طويلة وظهرت خلال سنوات مجدها أصوات شابة من الجنسين كانت تقوم بتقديم المقطوعات الموسيقية ما بين فصول

طلعت باشا حرب
على ظهر الباخرة «مصر» فى رحلة للصعيد

منيرة المهدية
سلطانة الطرب



مصطفى كمال باشا أتاتورك كرياضى

مسرحياتها، وكان من ضمن أصحاب هذه الأصوات محمد عبد الوهاب.

وظلت منيرة تحمل لقب ممثلة مصر الوحيدة إلى أن ظهرت رتيبة وأنصاف رشدى وأختهما الصغرى فاطمة رشدى، كما كان المسرح المصرى قد استقبل فرقة رمسيس التى قدمت مجموعة من الممثلات على رأسهن علوية جميل وزينب صدقى، وفردوس حسن، ومارى منصور، وعزيزة أمير، وأمينة رزق وغيرهن.

لقاء مع أتاتورك

فى عام 1922 دب خلاف بين منيرة وزوجها الذى كان يدير اعمالها ورأت منيرة أن ترحل من مصر فى رحلة استغرقت ثلاث سنوات بين سوريا ولبنان وليبيا وإيران وتركيا وفلسطين والعراق.

ونشرت جريدة «معلش» البيروتية رسالة قالت فيها إن مطربة الشرق الأولى ذات الشخصية الجذابة والنغمة الخلابة السيدة منيرة المهدية بدأت إحياء لياليها فى حلب وأقبل الجمهور على سماعها إقبالا عظيما، والأبدع فإن صوتها يمتاز بقوته وبحته الطبيعية، وقد شغف بسماعها عظماء مصر وكانت المطربة الوحيدة التى حازت ثقتهم وإقبالهم.

وعن ذكريات منيرة المهدية فى الصحراء روت فى مذكراتها أنها كانت تغنى لسلطان الحج أغنيتها المشهورة «أسمر ملك روحى» التى تقول كلماتها: أسمر ملك روحى يا حبيبى تعال بالعجل مسافر على فين وواخد مهجتى وياك لو كنت تعلم لاخدتنى وياك» وفى نهاية كل مقطع منها: تعال .. تعال .. بالعجل،

ويبدو أن الحاضرين استخفهم الطرب فكانوا يستعيدون هذا المقطع مرارا وتكرارا إلى أن ظن سلطان الحج أن منيرة تقصده بندائها فانتحى بها جانبا، حيث عرض عليها أن تصبح إحدى زوجاته، ولما لم يكن باستطاعتها رفض هذا الطلب فقد استئذنته للذهاب إلى مصر لوداع أهلها، وما أن أصبحت خارج الأراضى التى يبسط نفوذه عليها حتى تنفست الصعداء.

وعندما غنت منيرة الدور نفسه أمام «باى تونس» كانت قد روت له القصة الطريفة التى وقعت لها مع سلطان الحج فالتفت إليها حاكم تونس قائلا: لو كان باى تونس محل «سلطان الحج» لما تركك تهربين منه بهذه السهولة.

كانت أغنية أسمر ملك روحى أشهر أغنيات منيرة سجلتها على اسطوانات بيدافون عام 1915 وكان الجمهور يطلبها لأنها تظهر إمكانياتها الفنية، خاصة فى الطبقات العالية.

وفى تركيا غنت منيرة المهدية فى حضرة مصطفى كمال

المطرب الشاب محمد عبدالوهاب

منيرة المهدية

سلطانة الطرب



أتاتورك واستقبلت استقبالا حافلا، وتكريما لها كون نشأت بك الموسيقى الخاص لرئيس الجمهورية تختتا برئاسته لصاحبة غناء منيرة فى حفلاتها ونشرت جريدة أقدام أكبر جريدة يومية حكومية فى الأستانة على صفحاتها الأولى وبالحروف الكبيرة يوم وصول منيرة المهدية:

«وصلت اليوم إلى الأستانة المطربة منيرة المهدية هانم صاحبة الشهرة العظيمة فى الشرق وأوربا على السواء المطربة الشرقية التى تحمل أوسمة من حكومات أوربا والمشهود لها وحدها بالحنجرة التى لا نظير لها والأستانة ترحب بها وتشكرها على زيارتها وترجو أن تطول إقامتها»

وفى الاحتفال الكبير ألقى رئيس الجمهورية التركية خطابا جاء فيه: أشكر السيدة منيرة على تشريفها لنا وأهنئها على أدائها للغناء العربى لقد جعلتنى بصوتها الملائكى ومواهبها النادرة أعشق الموسيقى العربية، مع أنى دعوت شعبى فى كثير من المناسبات إلى نبذ الموسيقى العربية والتركية وتعلم الموسيقى الأوربية»

وكتب نبيل بدران فى جريدة الأهرام يقول: «غنت منيرة المهدية أمام مصطفى أتاتورك فى حفل كبير، وعندما اسدل الستارصرخ اتاتورك بألا تنزل منيرة وارتفع الستار من جديد وظلت منيرة تغنى طوال الليل وأتاتورك فى نشوة وذهول من ذلك الصوت العملاق والغيت البرامج الأخرى التى كانوا قد حشدوا لها مجموعة من الفنانين»

لم يكن لقاء منيرة المهدية بمصطفى كمال أتاتورك فى تركيا هو اللقاء الأول به وإنما سبق أن جاء إلى مصر وهو ضابط مرموق الرتبة، وكان عضوا بجمعية «تركيا الفتاة» التى كانت تسعى للاطاحة بحكم بنى عثمان.

وقتها زار أتاتورك مقهى «نزهة النفوس» ولم يكن مشهورا بعد وعندما ظهرت منيرة المهدية على المسرح حياها الضابط بالتصفيق فردت إليه التحية بابتسامة عريضة وبدأت تغنى، وكانت ترقبه طوال الوقت كان ينفق بسخاء وكرم وكان سعيدا بما تقدم من أغان.

أرادت منيرة أن تحيى الضيف فطلبت من فرقتها ان تعزف بشرفا تركيا وبدأت فى غناء أحد الموشحات التركية، فصفق لها الضيف وجاء إليها

منيرة المهدية
سلطانة الطرب



مع المطرب الشاب عبدالحليم حافظ تشرح صورة لمسرحيتها الشهيرة «كليوباترا ومارك أنطونيو»

مهنئا قائلا: «اسمحى لى أن أقدم نفسى .. أنا البكباشى كمال أتاتورك»

ردت عليه منيرة وهى تصافحه: «تشرفنا يا حضرة البكباشى أرجو أن يكون غنائى قد أعجبك» فأجاب ضاحكا: «لا .. ولذلك سنحضر غدا».

وفعلا جاء أتاتورك فى الليلة التالية، لا ليستمع لغنائها وإنما ليجالس راقصة يهودية كان معجبا بها وكان يصرف بسخاء وبلا حدود.. ويفتح من حين لآخر زجاجة؛ تكريما لصوت منيرة كى لا تعارض لهوه مع الراقصة الحسناء ليزا

حاولت منيرة إبعاد أتاتورك عن الراقصة، لكنها علمت فيما بعد أنها تزوره بالفندق الذى ينزل فيه.

وفى ليلة من الليالى جاء مصطفى أتاتورك إلى المقهى.. وهرعت ليزا إلى الجلوس بقربه وتقدمت منيرة منهما، ودون أن تتفوه بكلمة واحدة صفعت ليزا على وجهها.

وكانت المفاجأة الكبرى عندما سافرت إلى تركيا بعد عدة سنوات، وهناك جاءتها دعوة للمثول أمام الأتاتورك أو «أبى الأتراك» وفوجئت منيرة وهى تغنى بأن الأتاتورك ما هو إلا البكباشى مصطفى كمال وإلى جواره الراقصة اليهودية الحسناء ليزا.

وبعد انتهاء منيرة من تقديم وصلتها الغنائية ذهبت لتصافح الأتاتورك وقدمت له التهانى على توليه المنصب وزواجه من ليزا.. وابتسم الأتاتورك وقال وهو ينظر إلى ليزا: «إننا مجرد صديقين».

وعن رحلتها لبغداد تقول منيرة فى مذكراتها: حدثنى الناس أن الطريق إلى بغداد محفوف بالمخاطر تحتشد على جانبيه عصابات اللصوص وقطاع الطرق، وكنت فى سوريا وبالتحديد فى حلب وكان الوقت صيفا عندما أصدرت تعليماتى لمن معى بوجوب السفر إلى بغداد فى اليوم التالى ففزعوا جميعا وتملكتهم الرهبة إذ كان المعروف أن الذى يسافر لبغداد عن طريق الجبل لا أمل فى نجاته قطعيا.

حزمنا أمتعتنا وتوكلنا على الله وسرنا فى طريق الجبل قبل أن تستيقظ المدينة أو ينقشع الظلام، وكنت مسلحة كأحسن ما يكون الجندى النازل للقتال، وكانت بندقيتى «معمرة» والخنجر الذى أحمله حاد النصل قاطع الشفرة، ومعى كميات من الرصاص.

منيرة الغندورة..
وقع فى غرامها كل الرجال

منيرة المهدية

سلطانة الطرب

وكنت أحمل مجوهراتى ومصوغاتى التى كانت قيمتها لا تقل عن سبعة آلاف من الجنيهات المصرية، وحين يخيم الليل كنا ننام فى الخلاء وفى لحظة ما بكيت، فقد كان علينا أن نجتاز طريقا ضيقا يقوم الجبل فى إحدى ناحيتيه ويمتد على طوله واد عميق يشبه الهوة السحيقة على الجانب الآخر، وكانت أمامنا عربة كبيرة تسير أمامنا فى هذا الطريق فانقلبت وهوت بمن فيها إلى الوادى ولم ينج منهم أحد.

وعندما وصلنا بغداد خرجت البلدة كلها لا ستقبالنا أو على الأصح ليتفرجوا على الذين نجوا من «وادى الموت»، كما يطلقون عليه وساقونى إلى حاكم المدينة، كان الرجل جباراً عاتيا سألنى عن اسمى فقلت: منيرة المهدية وفى الحال أظهر لى من الحفاوة والإكرام والاحترام ما لا يزيد عليه، وفى اليوم التالى أقام لنا وليمة فخمة حضرها العظماء والوجهاء وكبار القوم فى المدينة.

ونزلنا فى اوتيل (مود) وهو افخم لوكاندة فى بغداد وفى صباح اليوم التالى ذكرت الجرائد كلها خبر وصولى لبغداد، ومن قواعد البلاد المقررة هناك أن القانون يمنع كل امراة مسلمة من الظهور على المسرح ممثلة أو مغنية وظهر لى أن الأمر عسير، ولكن ما كدت أبدى رغبتى فى العمل هناك، حتى سارعوا فى يوم وبعض يوم إلى إعطائى تصريحاً خاصاً يخول لى العمل على التخت بعدها سافرت إلى البصرة، وأقمت مدة اسبوع ضيفة على سلطان المحمرة وكنت كل ليلة



مصطفى أمين

أجلس إليه فأغني له وأطربه.. وما أكاد أنتهى حتى يعطى الآلاتية كلا منهم قبضة من الذهب ثم يطلب حقيبتى فيملأ حقيبتى ذهبا وما يزال كذلك حتى تمتلىء الحقيبة».

عشاق السلطانة

ويروى الكاتب الصحفى مصطفى أمين قصة مثيرة عن سطوة ونجومية منيرة المهدية فى مصر: حدث أن كانت منيرة مدعوة فى حفل «بال ماسكيه» (حفل تنكرى) فى الكوزمو جراند وكانت ترتدى ملابس كليوباترا .. وجاء حسين رشدى باشا رئيس مجلس الشيوخ وقبل يد منيرة وصاح: «فين انطونيو؟ أنا لازم اموته مفيش حد غيرى يقرب على منيرة أنا لازم أمثل دور أنطونيو»

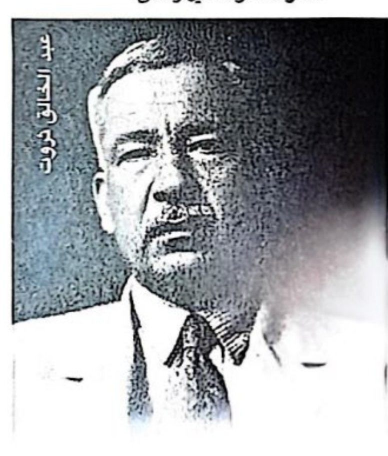
وفى نفس هذه اللحظة دخل الملك فؤاد وشاهد ما يحدث فثار إذ كيف يجوز لرئيس مجلس الشيوخ أن يقبل علنا يد مطربة؟

واستدعى عبد الخالق ثروت رئيس الوزراء وطلب منه أن يبلغ غضبه السامى إلى رئيس مجلس الشيوخ.

وطلب ثروت باشا رئيس الوزراء من الملك أن يتولى جلالته توبيخ رئيس مجلس الشيوخ بنفسه، وأرسل الملك واستدعى حسين سرى إلى مقصورته وتحدث معه بعنف.. ورد عليه حسين باشا رشدى بهدوء: «ليس فى الدستور المصري مادة تمنع رئيس مجلس الشيوخ من أن يقبل يد مطربة ضعوا هذه المادة فى الدستور وأنا أعدكم أننى



ناظر النظار حسين رشدى



عبد الخالق ثروت



فؤاد الأول ملك مصر والسودان



منيرة المهدية
سلطانة الطرب



مع المذيعة اللامعة الراحلة أمانى ناشد فى أخر حواراتها للتليفزيون المصرى

يعدها لن أقبل أيدى المطربات والممثلات.

وعن جمالها يقول عبد الوهاب: سمعت عن منيرة قصصاً كثيرة، منها أن رئيس وزراء من أكبر رؤساء الوزارات كان عندها فى العوامة وكان منتشيا فشرب شمبانيا من حذائها أو شيء من هذا القبيل، وأنا عندما تعرفت عليها أحسست بأنها كانت جديرة بهذا، منيرة كانت شخصية تجذب أى رجل، الصغير قبل الكبير فهى سيدة قبل أن تكون مغنية.

عقدة أم كلثوم

كانت أم كلثوم عقدة منيرة المهدية، وحاولت أن تحاربها بالسحر والشائعات لكنها لم تنجح، وأوقعت صحافي صعيدى - محمد عبد المجيد حلمى - في غرامها، لكي يجند مجلته لهدم سمعة وسيرة أم كلثوم، لكنه لم ينجح فهجرته وظل يهذى باسمها وهو مصاب بالحمى إلى أن مات وهاجمتها كل الصحف على فعلتها.

حتى فى الفيلم التسجيلى الوحيد الذى سجلته فى نهايات أيامها لم تتوقف عن مهاجمة تلك البنت الريفية التى سحبت البساط من تحت أقدامها تقول منيرة: «.. أم كلثوم كانت تعمل ليلة واحدة في الجمعة.. لكن أنا كنت كل ليلة على المسرح..» وتحكي أم كلثوم عن زيارتها لمنيرة في عوامتها: «.. سمعت من القصبجي (محمد) أنها مريضة فقلت له أن يصحبنى لزيارتها، وهناك حصل منها موقف طريف، فهي قدمت لي كازوزة (أي مشروب مياه غازية)... على سبيل الضيافة.. وقبل أن أشرب منه سبقتني وتناولت منه جرعة وهي تقول لى: «علشان تشربي وتطمني..».

لكن فى حوار بمجلة «الكواكب» روت منيرة الواقعة من وجهة نظر أخرى وهي أن: «..أم كلثوم تركت الزجاجة التي أمامها وشربت من الزجاجة التى أمام القصبجي.. وتضايقت أنا من هذا التصرف. وأردت أن ابرهن لها أن الدار أمان.. فأخذت الزجاجة من أمامها وشربت منها..».

.. ومنيرة كما تقول عن نفسها في الحوار التليفزيونى الوحيد مع المذيعة الراحلة أماني ناشد: «.. أنا كل فكري وعلامي من دماغي..». هربت من المدارس النظامية. وأصبحت أول مصرية مسلمة تقف على خشبة المسرح في حادثة هزت البلد وعروش الرجال، وفتحت الطريق أمام خروج المرأة من الحرملك.

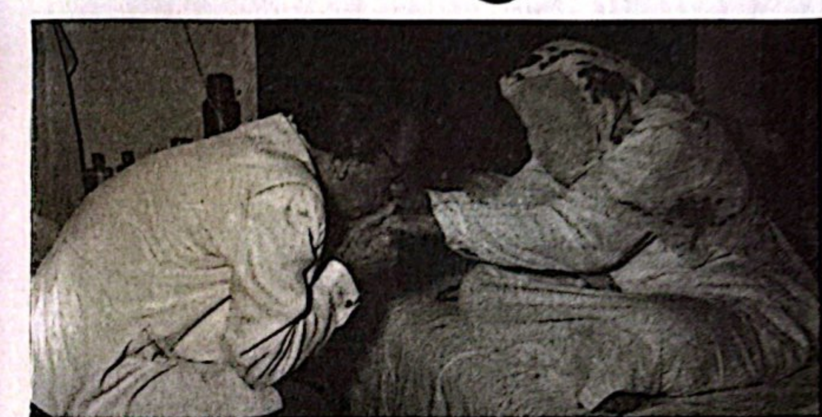
الوداع الأخير

ولقد اشتهرت منيرة فى زمانها بتقديم عدد وافر من الأغنيات الهابطة لعل أشهرها أغنية: «أرخى الستارة اللى ف



منيرة على المسرح.. شخصيات تتجدد كل يوم

منيرة المهدية
سلطانة الطرب



«الشواء» الموسيقار العالمى يقبل يد سلطانة الطرب إقرارا بفضلها وكانت فى أواخر أيامها تخفى وجهها بعد أن هدها المرض

ربحنا لحسن جيرانك تجرحنا» ويقول الصحفى الراحل كمال سعد: جمعتنى بمنيرة المهدية أكثر من مناسبة، وكنت دائما أدافع عن الأغانى الحديثة أمامها وأتهم أغانى زمان بالخروج عن قواعد الذوق والآداب وقلت لها ذات مرة: ألست أنت التى غنت:

«قمر يا قمورة يامحنى ديل العصفورة
إن كنت خايف من أبويا ابويا عدى المنصورة
وان كنت خايف من امى امى عليها ساتورة
وان كنت خايف م البواب اعمى ورجله مكسورة
وان كانت تايه عن بيتنا بيتنا قصاده بحدوره
وان كنت تايه عن اسمى اسمى منيرة الفندورة»

فقالت لى: هذه الاغنية سجلتها فعلا نزولا على رغبة صاحب شركة بيدافون للأسطوانات، ولكنى سرعان ما أدركت خطورة الطريق الفنى الذى أسير فيه فقاطعت مثل تلك الأغانى.

أسهمت منيرة المهدية فى حفلات الإذاعة المصرية عند افتتاحها، وقدمت أول حفلة غنائية لها فى 1934 ولم تنقطع عن المسرح إلا عندما صدمتها سيارة أثناء ذهابها لافتتاح موسمها الغنائى، وظلت بسبب هذه الحادثة لمدة سنة طريحة الفراش وقررت بعد ذلك اعتزال التمثيل ولجات إلى بيت الله الحرام وحجت سبع مرات وكرمتها الدولة فى الستينيات من القرن الماضى فنالت وسام الاستحقاق من الدرجة الأولى، وظلت تتمتع بقوة وعافية إلى أن مات زوجها إبراهيم كمال، فحزنت عليه وأصيبت بصدمة فنقلوها وهى فاقدة الحركة من منزلها بحدائق القبة إلى منزل أختها بالمنيل، وظلت فى هذا المنزل إلى أن ماتت.

ماتت وعلى لسانها كلمات غريبة كما يقول كمال سعد، كلمات لم تبعد كثيرا عن العصر الذى عاشت فيه وقت أن كانت من تغنى سلطانة، ومن تمدح تحسد ومن ترتدى اللون البمبى، فهى سيدة الإغراء.

ماتت وعلى فمها كلمات من قاموس عصرها: «ما تنسيش ياختى تدبحى تحت نعشى خروف علشان يونسنى ف وحدتى واوعى والنبى الميه السخنة خليها دافية شوية وقولى للجرايد إن منيرة سلطانة الطرب ماتت مستورة» ويضيف كمال سعد: رأيت منيرة المهدية فى 12 مارس 1965 وهى تخرج إلى رحلتها الأخيرة ملفوفة فى ثوب بمبى وجاءنى صوتها من أيام الزمن الجميل وهى تغنى: «خليك على عومى يا موج البحر .. لالبس بمبى .. واقلع بمبى .. واخدك على جنبى .. واعدى البحر».

المصادر :

زكريا أحمد وأم كلثوم أمام القضاء
كمال سعد - مطبوعات الشعب السلطانة منيرة المهدية
رتيبة الحفنى - دار الشروق مذكرات منيرة المهدية (ذكريات الطفولة الأولى)
محمد إبراهيم - هيئة الكتاب (المطربة التى قتلت الصحفى - والصحفى الذى دفن المطربة)
مصطفى أمين 18 - 1 - 1986 جريدة أخبار اليوم



منيرة المهدية

سلطانة الطرب

أسمر ملك روحي
يا حبيبي تعال
بالعجل

ارخي الستارة اللي
ف ريحنا
لحسن جيرانك
تجرحنا

بعد العشا
يحلا الهزار
والفرفشه